خطبة صلاة الجمعة 30/ 1/ 2026 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(قيم إنسانية – كرامة الإنسان)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 161-163].

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية البزار: «**مَكَارِمِ الأخلاق**».

أيها الإخوة:

هذه مجموعة من الخطب تتحدث عن قيم إنسانية.

القيم هي المبادئ والمثل العليا التي يؤمن بها الناس، ويجعلونها ميزانًا يزنون به أقوالهم وأعمالهم.

وإنما سميت القيم قيماً لأن بها قِوامَ الإنسان والحياةِ الكريمة.

وإنا سميت القيم قيماً لأن الأقوال والأفعال والأشياء بها تُقَوَّم وتوزن.

وإنما سميت القيم قيماً لأنها مستقيمة لا تنحرف ومنه قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ أي مستقيماً.

وإنما سميت القيم قيماً لأنها الحارسة للفطرة والراعية لإنسانية الإنسان ومنه قولنا قَيِّم المسجد، أي راعيه وحارسه.

فالقيم بها تقوم الحياة الكريمة، وبها تُقَوَّمُ الأقوال والأفعال وتوزن، وهي الحارسة للفطرة الراعية لإنسانية الإنسان، وهي المستقيمة التي لا تنحرف.

ونحن بعد أن أكرمنا الله تعالى بالفتح أحوج ما نكون لتعزيز القيمِ النبيلة، وهذه مجموعة من الخطب تعرض كل منها لقيمةٍ إنسانيةٍ، لا تظهر إنسانية الإنسان إلا بها، ولا تستقيم علاقاتنا الاجتماعية إلا بها، ولا تقوم لنا قائمة إلا بها.

تحدثت خطب ماضية عن الاحترام وعن العلم وكانت وعن العمل وعن تحمل المسؤولية وعن التعاون.

وعنوان خطبة اليوم: قيم إنسانية

—كرامة الإنسان—

أيها الإخوة:

الإنسان مخلوق مكرم (ولقد كرمنا بني آدم)، فطره الله على الكرامة وخَلَقَهُ منتصب القامة، يحب العزة ويباهي بالشرف ويسعى للمجد ويفخر بالفضائل، وما كلُّ ذلك إلا من كرامته.

ودعت شريعة الله الإنسان إلى الحفاظ على كرامته وعلى كرامة الناس.

ففي الحفاظ على كرامته نهته عن عبادة غير الله وعن الذل للخلق وعن أن يذل لشهوة أو أن يمد يده للناس سؤالاً وإلحافاً، وعن أن يذل نفسه بتعرضه من البلاء لما لا يطيق.

ودعته بالمقابل إلى الحفاظ على كرامة الناس فحفظت حقوقه وحقوقهم ونهت عن الاعتداء على أموال الناس وأعراضِهم وأنفسِهم، ونهت السخرية أو الاستهزاء بالآخرين وعن سبهم وإهانتهم وعن تعذيبهم والاعتداء عليهم.

ومن صيحات الكرامة والإباء قول رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» وفي حديث آخر «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

وقصة الفزاري مع جبلة بن الأيهم هي قصة الكرامةِ الإنسانية التي أراقتها الجاهلية وحماها الإسلام.

بدا للأمير الغسَّاني جَبَلَة بن الأيهم أن يدخل الإسلام هو وذووه، وكتب إلى الفاروق يستأذنه في القدوم إلى المدينة، ففرِح عمر بإسلامه وقدومه، فجاء إلى المدينة وأقام بها زمناً والفاروق يرعاه ويرحِّب به، ثمَّ بدا له أن يخرج إلى الحجِّ، وفي أثناء طوافه بالبيت الحرام وطئ إزارَه رجل من بني فَزارَة فحلَّه.

غضِب الأمير الغسَّاني لذلك –وهو حديث عهد بالإسلام– فلَطَمَه لطمةً قاسيةً هَشَمَت أنفه، وأسرع الفَزاري إلى أمير المؤمنين يشكو إليه ماحلَّ به، وأرسل الفاروق إلى جَبَلَة يدعوه إليه، ثمَّ سأله فأقرَّ بما حدث، فقال له عمر: ماذا دعاك يا جَبَلَة لأن تَظلِم أخاك هذا فتَهشم أنفه؟

فأجاب بأنَّه قد ترفَّق كثيراً بهذا البدوي، (وأنَّه لولا حرمة البيت الحرام لأخذتُ الذي فيه عيناه).

فقال له عمر: لقد أقررت، فإمَّا أن تُرضي الرَّجل وإمَّا أن أقتصَّ له منك.

وزادت دهشة جَبَلَة عندما قال لعمر: وكيف ذلك وهو سوقة وأنا مَلِك؟ فأجابه عمر: إنَّ الإسلام قد سوَّى بينكما.

فقال الأمير الغسَّاني: لقد ظننت يا أمير المؤمنين أن أكون في الإسلام أعزَّ منِّي في الجاهلية.

فقال الفاروق: دَعْ عنك هذا، فإنَّك إن لم تُرْضِ الرَّجل اقتصصت له منك.

فاستمهل جَبَلَة سيِّدنا عمر ليلةً حتَّى يُبرم أمره، وكان أن هرب في تلك اللَّيلة إلى القسطنطينية وارتدَّ عن الإسلام.

وقد نظم شاعر القصة في قصيدة عمودية عَنونَها (الإزار الجريح) قال:

عُمر: يا ابنَ أيهَمْ! ليسَ في قبضَتِنا إلا سِلاحْ، في يمينِ الله لامعٌ حَدَّاهْ، اسمُهُ الحَقُّ الصُّراحْ.

وهوَ –لو تعلَم– أمضَى... من سيوفِ الأرضِ، من صَولَتِها، طُولاً وعَرضاً

قدْ حَملناهُ رسالَةْ

وسَلَلناه عدالَةْ

فذَوُو التَّاجِ، وأَبناءُ السَّبيلْ.

تحتَ هذي الدَّوحَةِ السَّمحاءِ أَكفَاءٌ، سَواءٌ في المِقيلْ

يا ابنَ أيهَمْ! جاءَني هذا الصَّباحْ، مشهَدٌ يبعَثُ في النَّفسِ المرارَهْ.

بَدَويٌّ مِنْ فَزارَهْ

بدِماءٍ تتظلَّمْ... بجراحْ تتكَلَّمْ... مُقلَة غارَتْ، وأَنفٌ قد تَهَشَّمْ

وسألناهُ، فأَلقى فادِحَ الوِزْرِ عليكْ، بيديكْ.

قالَ: قدْ أشبعتَهُ ضرباً وقَصفاً... بيديكْ، في فناءِ البيتِ قد هشَّمته وجهاً وأنفاَ

أصحيحْ يا بن أيهَمْ؟ أَصحيحْ ما ادَّعَى هذا الفَزَارِيُّ الجَريحْ؟!

جَبَلَة: لستُ مَنْ ينكِرُ أو يكتُمُ شيَّـا، أنا أدَّبتُ الفتى، أدْركتُ حقِّي بيدَيَّا

عُمر: أيُّ حقٍّ، يا ابنَ أيهَم...؟

عندَ غيري يُقهَرُ المُستضعَفُ العافي ويُظلمْ.

عند غيري جبهةٌ بالإثمِ، بالباطلِ، تُلطَم.

نزَوَاتُ الجاهليَّةْ، ورِياحُ العُنجُهِيَّةْ؛ قد دَفنَّاها، أقَمنا فوقها صَرحاً جديدا.

وتساوَى النَّاسُ أحراراً لَدَينا وعَبيدا

يأخُذُ الحقَّ القَضاءْ.. وهوَ –لا أنتَ– الذي يُنفِذُ عندي ما يشاءْ.

جَبَلَة: يا أميرَ المؤمنينْ؛ أفَتُصغي، فأُبينْ؟

كنتُ بالبَيتِ أطوفْ، والمُلبُّونَ رُفوفْ

بَغتَةً ديسَ إزاري، داسَهُ هذا الفَزاري

كِدْتُ في الكعبةِ أَعرى...كانَ نُكراً ما أتاهُ كانَ نُكرا...

عامداً بَيَّتَ لي، للنَّاسِ، للمَوسِمِ شرَّا

قَسماً، لو أنَّنا في غيرِ بيتِ الله، في غيرِ الحرمْ... لستُ مِمَّنْ حنَثُوا يوماً بِعَهدٍ، بِقسَمْ

لتَوارى بينَ عَينيهِ حُسامي، وكفاني نَصلُه المُرهفُ تشقيقَ الكلامِ

الفَزاري: ما تَعمَّدْتُ –ورَبِّ البيتِ– مِمَّا قالَ شيَّا.

هفوَةً كانتْ، وشيئاً طارئاً فوقَ يديَّا

يا أميرَ المؤمنينْ أنا بالفاروقِ بالعدْلِ، عليهِ أستعينْ

عُمر: أَقرَرْتَ، يا ابْنَ الأَيهَمِ، أَقرَرْتَ لم تَتَحرَّجِ.

الحقُّ بادٍ كالمَنارَةِ، كالصَّباحِ الأبلَجِ

سَيرُدُّ للمُتَظلِّمِ ما جاءَ ينشدُهُ عُمَرْ... هيهاتَ نَسكُتُ عنْ أذى، هيهاتَ نُغضي عنْ ضَرَرْ

أَرْضِ الفتى، لابُدَّ منْ إرضائِهِ، ما زالَ ظُفرُكَ عالقاً بدمائِه

أوْ يُهشَمَنَّ الآن أنفُكْ، وتنالَ ما فعَلَتهُ كَفُّكْ

جَبَلَة: كيفَ ذاكْ يا أميرَ المُؤمنينْ كيفَ ذاكْ؟ وهوَ سُوقَةْ، وأنا صاحبُ تاجْ

كيفَ أرضَى؟ أنْ يَخِرَّ النَّجمُ أرضَا، كيفَ ذاكْ؟!

هوَ سُوقَهْ، وأنا: عَرْشٌ وتاجْ

عُمَر: نَزَواتُ الجاهليهْ، ورياحُ العُنجُهِيَّهْ، دَعكَ من هذا، وجنِّبني اللَّجاجْ، والجَهالَةَ!

أنتُما ندَّانِ في ظلِّ الرِّسالةْ.

سأُقيِدُهْ منكَ، أو تُرضيَه، أَبرَمتُ رأيي، سأُقيِدُهْ!

يا ابنَ أيهَمْ! لستَ خيراً من أحد... في البَلَدْ. بالتُّقَى

صالحاتٍ باقياتٍ أوْرَقا

تفضُلُ النَّاسَ لدينا بالعملْ.

نَفَلٌ ما تدَّعِي محضُ نَفَلْ...، وضَلالٌ، وخَطَلْ

أرضِهِ، أو تذهبَا: أنفٌ بأنفِ...قبلَ أنْ آخُذَ هذا الحقَّ، لن يُغمَضَ طرْفي

جَبَلَة: كانَ وَهْماً ما مَشَى في خَلَدي، أَنَّني عندَكَ أقوى وأَعَزُّ.

عمر: لا تُمَارِ عُدْ إلى الحقِّ وضيئاً كالنَّهارِ.

ما حَمَلنا الدِّينَ زِينَهْ، ولِباساً في المدينَهْ، حيثما شئنا خَلَعنا ورَجعنا.

يا ابنَ أيهمْ! سوفَ تَدْري كيفَ نقتَصُّ، نُجازي المُعتدِي ضُرَّاً بضُرِّ، لا تُداوِرْ! إنَّني أبرمتُ أمري

الكَرَامةْ... فوق قُرطيكَ الغَريبينِ، وتاجِكْ ومِزَاجِكْ.

بَشَرٌ مثلُكَ مَنْ عَفَّرْتهُ، روحاً وهامَهْ

تحتَ أقدام انزعاجِكْ، تحتَ مجنونِ هياجِكْ

لا تُمَارِ! عُد إلى الحقِّ مضيئاً كالنَّهارِ

جَبَلَة: أتُمهِلُني ليلَتي هذي أُقَلِّبُ فيها رأيي؟

عُمَر: إليكَ سُؤالَكَ. اطوِ الدُّجَى، وجِئني غَدا، سُقُوطَ النَّدى، ودَعني على ما انتَهيتُمْ أُفيقْ!

وهنا يخرج جَبَلَة وينتهي به الرَّأي أن يغادر المدينة فارًّا من قصاص عمر للكرامة الإنسانية.

أيها الإخوة:

إن الكرامة قيمة إنسانية، وهي الإحساس المعنوي بالحياة بعد الإحساس المادي بالوجود، فليحفظ امرؤ كرامة نفسه بأن يؤدي ما عليه من الواجبات ويطلب ما له من الحقوق، وليلزم أمر الله تعالى ونهيَه لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: 18].

وليعلم الناس أنه إذا أُهدِرَت كرامة الإنسان ودِيست عزَّته وأُذِلَّت نفسه فهو لا يملك إلا أن ينفجر في وجه مَن سلبه أساس حقوقه الإنسانية، تكريمَ الله تعالى له: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70].

والحمد لله رب العالمين